

تاريخ النشر: 2025/06/01 تاريخ القبول: 2025/04/27 تاريخ الاستلام: 2025/02/22



جمالية الخطاب القصصي عند "إبتسام جوامع": البنية اللغوية والدلالية (قصة عبق من غزّة أنموذجاً)

~~وداد غلوج~~

w.ghelloudj@univ-soukahras.dz

مخبر الدراسات اللغوية والأدبية -قائمة-

جامعة محمد الشريف مساعدية- سوق أهراس- /الجزائر

The aesthetics of narrative discourse according to "Ibtisam Djouamaa": Linguistic and semantic structure (the story of fragrance from Gaza as an example)

~~we~~ **wedad ghelloudj**

w.ghelloudj@univ-soukahrass.dz

Linguistic and Literary Studies Laboratory -Guelma

University Mohamed cherif Messaidia –Souk Ahras

/Algeria

ملخص البحث

تناول هذا البحث بالدراسة جمالية الخطاب القصصي عند "ابتسام جوامع"، في محاولة للوقوف على أهم فضاءات قصّة (عبق من غزة) السياقية، وبناءها اللغوية التي اعتدّت بها الكاتبة لتحقيق بنية نصية مؤثرة. وحتى نلّم شتات الأفكار المتشظية في هذه الورقة لا بدّ من اعتماد خطة متجلية في جملة من العناصر.

الكلمات المفتاحية: البنية اللغوية، القصّة، السياق، الجمالية، ابتسام جوامع.

ABSTRACT:

This research studied the aesthetics of the narrative discourse of "Ibtissem Djouamaa", in attempt to identify the most important contextual spaces of the story Fragrance fom Gaza and its linguistic structures that the writer used to achieve an influential textual structure. In order to bring together the fragmented ideas in this paper, it is necessary to adopt a plan that is manifested in a number of elements.

keywords: Linguistic structures, story, context, aesthetic, Ibtissem Djouamaa.

1. مقدمة:

ممّا لا شكّ فيه أنّ النّصوص الأدبيّة على اختلاف أجناسها تعتبر بنية لغويّة مشحونة بدلالات تنتظر من يفجّرها، ولا يتمّ ذلك إلا بالبحث في فضائها السيّاق واللغوي، لاستنطاق البنى الصوتيّة، والصرفيّة، والتركيبيّة، والدلالية، التي أنشأتها الذات المؤلّفة لإضفاء مسحة جماليّة؛ وعليه فالنّص القصصي بصفة خاصّة في المنظور المعاصر لتحليل الخطاب هو عبارة عن نسق من البنى والدلالات الفاعلة فكريّاً وجماليّاً.

وعلى هذا الأساس يستمدّ هذا البحث شرعيّته بأن يحاول الوقوف على مدى تمظهر القضية الفلسطينيّة في القصّة المعاصرة، وكيف عبّرت من خلالها المؤلّفة عن تفاعلها مع أحداثها وتطلّعاتها بصيغ تترواح بين الفنية حيناً والجماليّة حيناً آخر.

ولا غرو أنّ المؤلّفة قد نجحت في استخدام أساليب بلاغية، وأسلوبية في الكتابة كالصور البيانيّة، والإيجاز، والحذف، والتكرار...، والتي تعدّ أحد المكوّنات البلاغية للصورة القصصيّة الهادفة إلى توضيح المعنى وتأكيدّه، وإثارة حواس المتلقي من خلال المغزى الإنساني، والأخلاقي.

واستناداً إلى هذا المعطى النظري يسعى البحث إلى الإجابة عن إشكاليّة رئيسة مؤدّاها: ما هي أهم الظواهر اللغويّة التي وظّفها المؤلّفة "ابتسام جوامع" في قصّتها (عبق من غزّة)؟

لقد قامت منهجية البحث على مقدّمة؛ مهّدتنا فيها للموضوع وطرحنا فيها إشكالية البحث، والأهداف المرجوّة، ثمّ قدّمنا بعض المفاهيم ذات الصّلة بالموضوع كتعريف القصّة، منتقلين بعدها إلى عرض الموضوع بشكل مفصّل، خاتمين البحث بخاتمة تضمّنت أهم النتائج المتوصّل إليها من خلال الدراسة.

وتجسّداً لهذه الرؤية اقتضت طبيعة البحث اختيار منهج يتناسب مع طبيعة الموضوع، ألا وهو المنهج التكاملي الذي يشمل كل المناهج اللغويّة، خاصّة وأنّ موضوع البحث يحتمّ علينا إتباع كل المناهج اللغويّة، بغية استقراء أفكار المؤلّفة، ومضامين قصّتها وتحليلها، وفي رصد الأساليب الفنيّة والجمالية التي استثمرتها في صياغة الدلالة.

2. مفهوم القصّة:

1.2 لغة:

مادّة "قصّ" يدور معناها في المعاجم حول الإتيان؛ أي إتيان الخبر أو الحديث، من ذلك قوله عزّ وجل: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (سورة القصص، الآية: 11)

و"قصّيه" أي تتبعي آثاره. وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (سورة الكهف، الآية: 64)؛ وعليه فإنّ القص للآثر هو تتبّع ما مضى من أحداث، وقد سعى القرآن ما مضى من أحداث ووقائع قصصا، فقال سبحانه وتعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (سورة يوسف، الآية: 3).

2.2 اصطلاحاً:

تعدّدت المفاهيم العامّة والاصطلاحية لمصطلح (القصة) عند النقاد والدارسين، ولعلّ هذا التعدّد يحتم علينا الوقوف عند أحد التعريفات التي تمكّنا من ضبط حدود المصطلح الدلالية؛ فهي في تعريف "محمّد يوسف نجم": "مجموعة من الأحداث يرومها الكاتب، وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدّة، تتعلّق بشخصيّات إنسانيّة مختلفة، تتباين أساليب عيشها، وتصرفها في الحياة على غرار ما تتباين حياة النّاس على وجه الأرض، ويكون نصيبها في القصة متفاوتا من حيث التّأثير والتأثير" (نجم، 1979، ص9).

وفي تعريف آخر هي: "جنس أدبي يمتاز بقصر الحجم، والإيحاء المكثّف، والانتقاء الدقيق ووحدة المقطع، علاوة على النزعة القصصية الموجزة والمقصديّة الرمزيّة المباشرة وغير المباشرة" (حمداوي، 2011، ص8).

وما يمكن أن نستخلصه من هذين التعريفين هو أنّ "القصة" جنس أدبي واع ومقصود، يتميّز بقصر الحجم، والإيحاء، يعبر عن روح العصر والذوق العام الذي أصبح لا يستسيغ إلا الأعمال المقتضبة الخالية من الحشو والتكلف.

3. مملكة القصة عند "ابتسام جوامع":

حاولت الكاتبة "ابتسام جوامع" في قصّتها (عبق من غزّة) أن تؤسّس مملكة قصصية، فرسمت شخوص قصّتها وأحداثها من نسيج الواقع، وفي هذا أثر كبير على نفسيّة المتلقي، فيسهل عليه تقبل الأفكار، وممّا لا ريب فيه أنّها فجّرت في هذه الشخوص حب الوطن وأصالة الأرض التي أنجبتهم إنّها أرض الأبطال المغاوير الذين ضحّوا بالنفس والنّفيس لنصرة وطنهم المهدّد؛ وعليه فتجربة الحياة أصبحت مادّة خصبة لهذه القصة، فشخصيّاتها حملت في أعماقها توتر المجتمع الفلسطيني وآماله وآلامه، فارتحلت مع لغة حملت هذا الأمل والحزن فجاء هذا المزيج اللغوي، الذي يوضّح مناهضة مختلف أشكال ظلم المحتل الصهيوني وبطشه.

4. فسيفساء اللغة في قصة "عبق من غزّة":

شكّلت لغة الكاتبة لوحة فسيفسائية، ترجمت قاموساً لغوياً ثرياً، باعتماد مستويات لغويّة: منها الفصيح، والعامّي، والمشترك، وبذلك كانت اللّغة المعتمدة في القصة نهراً صبّت فيه روافد جداول صغيرة

أسهمت جميعها في التعبير عن حيثيات القصة وتفاصيلها. وقد جاءت هذه المستويات مختلفة مناسبة لشخصها، وهذه المستويات عبّرت عن معطيات نصية مختلفة، منها المعطى التاريخي الذي اعتمدت فيه الكاتبة لغة السرد، ومن نماذج هذا النمط قولها: "الانفجار جعل المكان عائماً في الدماء ... كان الأطفال كلّهم يستعدّون لرحلة ولكّنها ليست كأبي الرحلات ... فقد تكون بلمح البصر البصر نحو العالم الآخر..." (جوامع، 2024، ص8)، كما اعتمدت المعطى السوسولوجي للتنديد بجرائم المحتل الإسرائيلي "فكلّ الحياة توشّحت ستائرهما بحشجة الموت وألوان الدمار" (جوامع، 2024، ص8)، أمّا المعطى السيميائي فقد فتح الباب لمساءلة النص، ومن ثمّ إعطائه أبعاداً دلالية "غداً تتحسنّ الأحوال يا أمّي، باكر تتحسنّ لحوال يا أمّي" (جوامع، 2024، ص8)، تكررت هذه الجملة عبر صفحات القصة، وختمت بها المؤلفة قصتها في إشارة منها إلى الأمل في نيل الحرية بفضل شريحة الأطفال رمز الكفاح والتحدّي والإباء، ولعلّ هذه المقطوعة السردية المعبرة عمّا يعيشه الشباب الفلسطيني تثبت ذلك: "مسح دموعها وقال: باكر تتحسنّ لحوال يا أمّي، باكر تتحسنّ لحوال، وأخذ يرقص الدبكة الفلسطينية وسط النيران غير أبه بما حوله وسط زهول الحاضرين.." (جوامع، 2024، ص11).

وما هذه الازدواجية اللغوية، العربية الفصحى، والعامية، إلا لحاجة في نفس الأدبية، التي حاولت أن تثبت أنّ اللغة العامية هي لغة بسيطة تتماشى ولغة أفراد المجتمع الفلسطيني؛ وعليه فتوالي الأحداث يبيّن أنّ لكلّ حدث لغته الخاصة. فاللغة باعتبارها دعامة رئيسة في مقومات الهوية، ووسيلة يعبر بها الإنسان عن ذاته وأفكاره، ولولا هذه الميزة البشرية التي كرم بها المولى عزّ وجلّ الإنسان، وفضّله عن سائر المخلوقات، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (سورة الرحمن، الآية 1-4). لما استطاع أن يتواصل مع أخيه الإنسان، إنّها وعاء لأيّ شعب، والمؤرّخ الحقيقي لحياته.

ومن أجل هذه الحقيقة كان هدف المحتل الصهيوني هو طمس هويّة الشعب الفلسطيني، قصد فصله عن تاريخه.

كما قدّمت القصة صوراً مأساوية عاشها الشعب الفلسطيني نتيجة تعرّضه لمختلف الأساليب القمعية والوحشية، والتي ذاق فيها مرارة الفقر واليتم، إلا أنّ ذلك لم ينل من عزائمه ولا من مبدئه، فمن خلال تصوير معاناة هؤلاء الفقراء واليتامى تكلمت اللغة، فكانت هذه الصور التعبيرية الجمالية "ظلّ الأسى يراود كل وجه، لا رغيف، خبز، لا غطاء، لا أمان، لا حلم... لا شيء هنا يوحي بأنّ المكان صالح للعيش سوى بصيص أمل عند من بقي حيّاً" (جوامع، 2024، ص7)، أو قولها: "تنهض كل يوم متناقلة الخطى تفكّر وتفكّر دون جدوى، من أين تحضر لهم قوت اليوم ولكن لا المكان صالح للعمل ولا الزمان هو الآخر... والأدهى من ذلك عند من ستعمل؟" (جوامع، 2024، ص8)، ففي هذين المقطعين القصصيين نلمس تفنّن الكاتبة في نسج قصتها اعتماداً على معجم لغوي اجتماعي لاءم طبيعة

موضوع "الفقر، واليتم، والمعاناة؛ وعليه يمكننا القول إنّه لا سبيل إلى التأثير في المتلقّي وجذب انتباهه "إلا أن تسفر العبارة عن معانيها، وتكشف الألفاظ عن حقيقة كل ما يراد منها، فلا يتكلّف القراء، أو المستمعون شيئاً من الجهد أو العناء في تأمل ما يقرؤون وما يسمعون، حتّى يصلوا إلى ما يريد الأدباء تأديته من الآراء أو الأفكار أو المعاني. فلا يقدمون إلهم إلا ما يرون أنّهم يطبقون إدراكه من المعاني الواضحة المؤدّة في أسهل عبارة، وأيسر ما يستطيعون من وسائل الأداء" (طبانة، 1984، ص 120)، وهكذا تباينت الأداءات اللغويّة بتباين الشخصيات التي استمدّت مستوياتها الدلاليّة من الأبعاد الاجتماعيّة للمجتمع الفلسطيني.

5. الأبعاد الجمالية في قصة (عبق من غزّة):

مما لا شكّ فيه أنّ كل ما في القصة يحتاج إلى وقفة متأنية تبلغ القصد المراد: علامات الترقيم، الجمل القصيرة والطويلة، التكرار، كثرة الأفعال الماضيّة أو المضارع المسبوق بـ "كان"، الجمل الاسميّة، التّعوت والأحوال، الصور البيانيّة...، وهي تقنيّات جماليّة أسهمت في بناء المشهد السردّي بناءً محكمًا؛ لأنّ الخطاب القصصي - (عبق من غزّة نموذج الدراسة) - خطابٌ إنسانيٌّ يترجم للعالم بأسره صوراً عن المعاني الإنسانيّة، والقيم الدينيّة، والاجتماعيّة، والسياسيّة...، هذا ما جعلنا نربط البنى المضمونيّة للقصة بالبناء الشكلي وسيّاقه، مزاجين بين الموضوع والشكل، مؤمنين أنّ النصّ الأدبي لا يوجد فيه فصل بين (شكل المحتوى ومحتوى الشكل).

أ. القصة وألفاظها:

لا غرو أنّ الكاتبة "ابتسام جوامع" قد بدأت رسم صورتها القصصيّة من النّهاية، فرسمت الجو الكئيب الذي خيم على سكّان غزّة، مقدّمة لنا خبراً حزيناً هو دمار منزل بطل القصة "خالد"، واستشهاد أخته الصغرى، منتقلة إلى عرض أحداث القصة - من بدايتها حتى النّهاية - وهي تقنيّة فنية من تقنيّات القصة المعاصرة، مراعيّة تجانس أصوات الألفاظ، وما تحمله من أبعاد جماليّة ودلاليّة، كالبعد النّحوي الذي راعت فيه موقع الفاعل والمفعول به والتّعت...، بشكل ترجم تجربتها الشعورية قبل الألفاظ، فتولّدت هذه الفضاءات الإبداعيّة "خالد صبي صبيح الطلعة حاد النظرة يرمقك بطرف عينه فتخترقك نظراته تاركة حيرة في الوجدان، فقد إخوته في الحرب، ولم يبق من عائلته إلا أخته الصغرى ووالدته التي تجمّد قلبها وتصلّبت ملامحها وصارت تصارع وجود الوجود واللاوجود... تريد اللّحاق بزوجها الذي استشهد دفاعاً عن فلسطين الحبيبة" (جوامع، 2024، ص 8)، إنّ قارئ هذا النصّ السردّي يُدرك لا محالة أنّ الألفاظ قد حملت على عاتقها أمانة ثقيلة، ألا وهي ترجمة مضمون القصة الذي تمّ فيه انتقاء الألفاظ بعناية، كأسماء الأشخاص التي اختارتها الكاتبة من رحم المجتمع العربي لترسم ملامح فلسطين الأبيّة، والمقطع السردّي الآتي يوضّح ذلك: "كان خالد يخرج صباحاً بحثاً عن رغيف لأّمّه وأخته محمّلاً نفسه مسؤوليّة أكبر من سنّه... ذات يوم وقع انفجار كبير قرب بيته

بينما كان يحاول تأمين لقمة العيش لعائلته فشعر بذعر كبير فجأة يسمع صديقه هشام منادياً: يا خالد يا خالد... بيتكم بيتكم... انخرب" (جوامع، 2024، ص9)؛ وعليه فالكاتبة قد رسمت لوحة تقطر مرارة لمأساة عاشها الشعب الفلسطيني مرتبطة بظروف أفرزتها الأوضاع السياسية المتردية، موظفة التكرار: (يا خالد يا خالد، بيتكم بيتكم) تارة، وأسماء عربية ترجمت البعد الجمالي تارة أخرى: كاسم "خالد" بطل القصة وصديقه "هشام" الصّامدين الثائرين في وجه المحتل اللّعين، واقفين أمام بطشه مقاتلين بشهامة، متّخذين من سلاحهما البسيط (الحجارة) وسيلة للدفاع عن أرضهم الطّاهرة "كان خالد يساعد رفقاءه في إخراج من هم تحت الأنقاض... حينما يسمع صوت الرصاص لا يهرب، بالعكس وكأنّه سمع إنذاراً يجعله يهجم مباشرة للدفاع عن وطنه بالحجارة، هناك في بلد العزّة لا سلاح لا مال لا كهرباء لا غاز فقط الموت والحجارة" (جوامع، 2024، ص 8-9).

وبناءً على ما تقدّم يمكننا القول إنّ ألفاظ القصة قد شكّلت علاقات دلالية أسهمت في بناء النصّ وترابطه، لأنّ أصل اللغة التي مارست من خلالها الكاتبة وظيفتها الإبداعية هي "لغة معيارية لا في معجمها فقط، بل في بنيتها التركيبية كذلك حيث ينتج النصّ فيما يشبه تولّد ذاتياً، بواسطة إعادة إنتاج لغة مسكوكة ومقلوبة لا أثر فيها لأي غرق أو إبداع، هنا تكون اللغة تقريرية" (حدّو، 2010، ص278).

وبهذا؛ جعلت الكاتبة الشخصيات تتكلّم على لسانها مخرجة اللّغة من مكانها الضيق إلى الواسع، فاتحة الباب على مصراعيه لتعرية واقع فلسطين الأليم.

ب. التراكيب:

ممّا لا ريب فيه أنّ الوظيفة الجمالية لا تتحقّق في القصة من خلال توظيف الكاتبة لجملتها من التراكيب لا عهد للمتلقّي بها، وتناصت لغوية دالّة، ومجازات لا حضور لها في المسار اللغوي، وأكثر من ذلك مفارقات تكسر أفق التوقع؛ أي يمكن أن تشكّل التراكيب هالة من الدلالات الكامنة في باطن الخطاب القصصي، فتكشف بذلك عن حقيقة الموضوع الذي تريد الكاتبة التعبير عنه، وقصّتنا ليست سوى صيحة في فضاء يضمّ أرواح النّاس -فلن يكون غير الرّماد بعد النّار والركام بعد القصف والدّمار- إن لم تظل تستعر طلباً للخلاص، وفي أحيان أخرى انكسارات نتجت من تلك المعاناة، فنرى في زاوية من زوايا القصة "خالد" يتحدّث، لينكسر هذا الخيط الرّفيّع عندما تحيل الكاتبة إلى وصف أو تعليق دون سابق إنذار بغية جذب انتباه المتلقّي، وهو ما يعكس براعتها السردية الهادفة إلى الصبر، والأمل، وزرع التفاؤل في نفس الشعب الفلسطيني الذي أظنته الانهزامات والانكسارات. تقول: "كان يرقب حالة أمّه في صمت مهيب... يحاول زرع بعض الأمل في قلبها فتجده يكرّر عبارته المألوفة دائماً: غداً تتحسن الأحوال يا أمّي باكر تتحسن لحوال يا أمّي" (جوامع، 2024، ص8)؛ وعليه فأحداث القصة أحداث لغوية وردها النصّ الذي "يأخذ على عاتقه مسؤولية رواية الحدث" (التازي، 1988، ص96).

ج. البنى المضمونيّة في القصّة (محتوى الشكل):

اعتمدت المؤلفة على أسلوب أدبي مفيد بعيد عن المباشرة والتلقين؛ بحيث نوّعت في الأساليب كأسلوب السرد، والأساليب الخبريّة والإنشائيّة، والصيغ، وتعدّد الأصوات...، وغيرها، مجيدة في خلق حوار يتماشى والموضوع المطروح، ولم يتحقّق ذلك إلا عن طريق اللغة التي انسجمت مع حاجاتها النفسيّة، أو تلك الفراغات أو عمليّات الحذف المتتالية التي لجأت إليها مخالفة فيها مألوف الاستعمال، ومن غير شك أنها انزياحات تركت للمتلقّي حرية فك رموزها.

وفي ضوء ذلك نتناول عبر -القصّة النموذج- الانزياح المتصل بقواعد التركيب من تقديم وتأخير وحذف، والانزياح المتصل بالأسلوب كالصور البيانيّة.

أ. التقديم والتأخير في (الجملة الاسميّة):

تقديم شبه الجملة الظرفيّة على الحال: ينص الأصوليون أنّ "الأصل الرتبة بين عناصر الجملة وقد يعدل عنها إلى التقديم والتأخير" (حسان، 1982، ص 130)، والملاحظ للجملة الآتية: "تجدها طول الوقت واجمة مستغرقة في أفكارها"، يجد شبه الجملة الظرفية (طول الوقت) متقدّمة على الحال (واجمة)، ولعلّ هذا التقديم يرتبط بالحالة النفسيّة التي تمرّ بها كل امرأة فلسطينية استشهد زوجها دفاعًا عن أرضه المغتصبة تاركًا لها أبناء صغار، وقد نفسّرها في ضوء القواعد النحوية ولكن ما يسوغ هذا الانزياح (العدول) هو تعامل الكاتبة الخاص مع اللغة وتراكيبها.

ب. التقديم والتأخير في (الجملة الفعلية):

ينص الأصوليون على أنّ "المعمول لا يقع إلا حيث يقع العامل" (حسان، 1982، ص 134). غير أنّ المؤلفة بتقديمها الفاعل على الفعل تكون قد فصلت بين العامل ومعموله، ونجد ذلك في قولها: "الانفجار جعل المكان عائماً في الدماء"، و"شبابٌ تتلمذوا على يد المعاناة"، والأصل في ذلك: "جعل الانفجار..."، و"تتلمذ شبابٌ..."، وتقديمها شبه الجملة على الجملة الفعلية في قولها: "لا شيء هنا يوحى"، والأدهى من ذلك عند من ستعمل"، والأصل هو: "هنا لا شيء يوحى"، والأدهى من ذلك ستعمل عند من؟"، وكذلك تقديمها شبه الجملة في قولها: "فقد تكون بلمح البصر نحو العالم الآخر"، ولم يبق من عائلته إلا أخته" وأصلهما: "فقد تكون نحو العالم الآخر بلمح البصر"، ولم يبق إلا أخته من عائلته"، فقد تصرّفت الكاتبة في عناصر التركيب بما عدل به عن أصل القاعدة بغية إبراز أمر المتقدّم، والرد في الأصل يقتضي إعادة ترتيب العناصر إلى وضعها الطبيعي -كما فعلنا سابقا- كي يزول الانزياح، ومن ثمّ تزول السمة الأسلوبية المميزة.

ج. الحذف:

قرّر الأصوليون أنّ "الذكر هو الأصل، فإن عدل عنه إلى الحذف وجب تقدير المحذوف من ركن الجملة" (حسان، 1982، ص 130). كما قرروا أنّ "الأصل الإظهار" (حسان، 1982، ص 130). وقد يعدل عنه الإضمار إذا وجد البرهان؛ إذ "لا حذف إلا بدليل" (حسان، 1982، ص 130)، وقد لجأت الكاتبة إلى الحذف المتكرّر مدلّلة على ذلك بعلامة الحذف (...)، وقد تكرر ذلك في ستة وثلاثين موضعاً من القصة، ولعلّ المثال الآتي يوضّح ذلك: "بدأ يبحث ويبحث وينادي: ساعدوني ساعدوني... أمي وأختي تحت الانقراض..." (جوامع، 2024، ص 9). ممّا لا ريب فيه أنّ هذه الفراغات التي تركتها الكاتبة للمتلقّي تُبرز ظاهرة الغموض التي اتسمت بها القصة المعاصرة، وهذا الغموض يمثل في حقيقة الأمر انزياحاً في الرؤية.

د. الانزياحات المتصلة بالأسلوب:

حاولت الكاتبة في هذه القصة أن ترسم لوحة فنية عن غزّة بكلّ أبعادها موظّفة لذلك صور بيانية منها: الاستعارة (الهاشمي، 2003، ص 264) التي تعدّ أهم وسائل التصوير وإبراز طرق التعبير غير المباشرة القائمة على التخيل والإيحاء، والقصة كلّها استعارات، فلا نكاد نمرّ بجملة منها دون أن نقف فيها على استعارة مكنية. وسنكتفي ببعض النماذج لكي لا يطول بنا المقام.

استعانت الكاتبة في قولها: "ظلّ الأسى يراود كل وجه" (جوامع، 2024، ص 7) بالاستعارة نظراً لنفسيتها المضطربة الحزينة من جهة، ونفسية الشعب الفلسطيني من جهة أخرى، وهي استعارة مكنية أفادت التشخيص والتجسيد في المعنوي (الأسى) في صورة إنسان يراود غيره.

ثمّ نمرّ إلى مقطع سرديّ آخر حيث تقول: "أناس ألفوا الموت، واحترفوا المعاناة" (جوامع، 2024، ص 9) هاتان استعارتان مكنيتان — على حدّ تعبير البلاغيين القدامى —، فالموت لا نألفه فهو ليس إنسان حتّى يؤلف، والمعاناة ليست حرفة.

كما نجد العديد من الصور في المقطع السردى الآتي، إذ تقول: "فتخترقك نظراته تاركة حيرة في الوجدان...، ولم يبق من عائلته إلا أخته الصغرى ووالدته التي تجمّد قلبها وتصلّبت ملامحها" (جوامع، 2024، ص 9)، حيث شبّهت نظرات الإنسان بالرصاص، وشبّهت قلب الأم بالجليد، ولامحها بالحجارة، ومثلها قولها: "فكلّ الحياة توشّحت ستائرهما"، و"يحاول زرع الأمل"، حيث شبّهت الحياة بالمنزل الذي يُزيّن بالستائر، والأمل بالبذور فحذفت (البذور) وأتت بصفة من صفاته (الزرع).

ومنه فالصورة عند الكاتبة "ابتسام جوامع" تقوم بوظيفتها النفسية والمعنوية معاً، فهي تعبّر عن المعاني بإبرازها وتأكيداها، وفي الوقت عينه تعبّر عن مدى شعورها القومي تجاه قضايا أمّتها العربيّة التي تناولتها في قصّتها.

6. خاتمة:

كانت هذه الدراسة محاولة لسبر أغوار قصة "عبق من غزّة" للكاتبة ابتسام جوامع، التي خصّتها لبكاء الشعب الفلسطيني ومعاناته، من خلال تطبيق المنهج التكاملي الذي جعل من المتلقي شريكًا فعليًا له ينتقي اللفظة، ويحيلها على معان جديدة انطلاقًا من ثقافته ومكتسباته القبلية، فكان المنهج الأنسب لتحليل مثل هذه القصص التي منحها بعدًا جماليًا. ومن غير شك أنّه قد تمّ التوصل إلى جملة من النتائج المهمة وهي كالآتي:

- إنّ المتصحّح لقصة "عبق من غزّة" يجدها قد نظمت بطريقة بديعة؛ لأنّ صاحبها راعت فيها قواعد النّحو، وإن خرجت عنها فهي قد صنعت قواعد أخرى ضمّت بناءها اللغوي ضمًا محكمًا.
- جاءت القصة مسترسلة في تراكيبها والمعاني التي احتوتها، رغم تنوّع الوسائل اللغويّة من (إيجاز، وحذف، وتكرار، وتصوير...)، إلا أنّ جميعها سخرت لهدف واحد هو بعث الشعور القومي في قلوب العرب، وتصوير ما يختلج صدر الشعب الفلسطيني من آلام، وما يصبو إليه من آمال.
- اتخذت الكاتبة من السرد، والوصف، واللغة الصافيّة الرقيقة ذات الألفاظ المألوفة وسيلة للتعبير عمّا جاش في صدرها من عواطف بصور خيالية كالاستعارة المكنية، والتقديم والتأخير...، وبهذا ستظلّ حاملة مشعل الأمل والتفاؤل في تحرير أرض فلسطين المغتصبة.

7. التوصيات:

- إنّ المجموعة القصصيّة (عبق من فلسطين) التي انتقينا منها قصة "عبق من غزّة" موضوع الدراسة، قد طبعت حديثًا (أكتوبر 2024)، ولم يطلّع عليها الكثير من الباحثين، وموضوعاتها قيّمة تحتاج إلى من يمعن النظر فيها بغية استخراج مكنوناتها بالبحث في فضائها السيّاق واللغوي، لاستنطاق البنى الصوتيّة، والصرفيّة، والتركيبيّة، والدلالية.
- تضمين بعض القصص الإبداعية للكاتبة "ابتسام جوامع" في المنهاج التربوي.
- إعادة طبع وتوزيع المجموعة القصصيّة (عبق من فلسطين) حتى يتسنى الاطلاع عليها، وإقامة دراسات من حولها.

المراجع:

القرآن الكريم

1. ابتسام جوامع، المجموعة القصصيّة "عبق من فلسطين"، المنارة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2024، د.ط.

2. أحمد الهاشمى، جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبدیع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزیع، بیروت، لبنان، د. ط، 2003.
3. بدوى طبانة، قضايا النقد الأدبى، دار المریخ للنشر، الریاض، د. ط، 1984.
4. التازى محمد عز الدین، مفهوم الرواية "داخل النص الروائى العربى"، مجلة الوحدة، السنة الخامسة، العدد 49، أكتوبر 1988.
5. تمام حسان، الأصول، الهيئة المصریة العامة للكتاب، ط1، 1982، ص130.
6. جمیل حمداوى، من أجل تقنية جديدة لنقد القصة القصیرة جدًا (المقاربة المیکروسردیة)، نشر شركة مطابع الأنوار المغاربیة، المغرب، ط1، 2011.
7. رشید بن حدّو، جمالیتة البین بین فى الرواية العربیة، منشورات مؤسسة نادى الكتاب بالمغرب، ط1، 2010.